كانت، بالنسبة إلى عرفات، الحصول على أسلحة ودعم سياسي[١٢].

ربما كان من النتائج ذات الدلالة لتلك الزيارة، ليس تصريحات تشير إلى دعم الشعب السوفياتي «للنضال المعادي للامبريالية الذي تخوضه حركة التحرر الوطني الفلسطيني»، التي تخفي نقاط الخلاف الجوهرية بين الموقفين، السوفياتي والفلسطيني؛ وليس، كذلك، صك الـ «برافدا» عبارة «الشعب العربي الفلسطيني»؛ وانما كانت، وبحق، بداية الاعتراف، بأن القضية الفلسطينية هي مسألة تطلعات وطموحات وطنية[١٣]. ثمة نتيجة أخرى، لاتقل أهمية عن تلك؛ لقد بدأ الاتحاد السوفياتي سعيه إلى تحقيق تقارب مباشر مع م.ت.ف. عبر اقامة منظمة «الانصار» التي تبنّتها الاحزاب الشيوعية العربية.

وقد يكون من المناسب، هنا، ان نشير إلى انه على الرغم من زيادة الدعم السوفياتي للمنظمة، لم تكن العلاقات، بين الطرفين، على أتم وجه[١٤]. وأول ما لفت النظر، حقاً، بقاء الاتحاد السوفياتي ملتزماً جانب الحياد حول مصير الفلسطينيين خلال احداث الاردن بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١. وهذا ليس مستغرباً؛ فاعتبارات العلاقة السوفياتية ـ السورية، والسوفياتية ـ الاميركية، كان لها، عند موسكو، وزن اثقل من ورطة الفلسطينيين[١٥]. وبوسعنا الاعتقاد بأن وجهة النظر الاستراتيجية السوفياتية في المنطقة، كانت تقوم على أساس ان أي نزاع علني بين الدول العربية، في تلك الظروف، على الاقل، يقلص من فرص تسوية شرق أوسطية، ملائمة للجانب العربي.

لم يضع الحياد السوفياتي حداً نهائياً للصلات بين الطرفين. ففي العشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١، وصل وفد من م.ت.ف. برئاسة عرفات، إلى موسكو، تلبية لدعوة تلقاها من اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو ـ آسيوي. وفي هذه المناسبة، ذكرت اذاعة موسكو ان المقاومة الفلسطينية تجتاز مرحلة هامة وصعبة؛ فالسنة الماضية هوجمت من قبل «القوى الرجعية» لتصفيتها، والاتحاد السوفياتي يستنكر هذه المحاولات. وأصدر بيان في ٢٩ من الشهر ذاته، في اثر الزيارة، يشير إلى ان اللجنة، نيابة عن الشعب السوفياتي، تؤيد نضال الشعب الفلسطيني من أجل «حقوقه العادلة والمشروعة»[١٦].

بيد ان الاحداث تسارعت، بصورة مفاجئة، منذ تموز (يوليو) ١٩٧٢ ـ ونادراً ما كانت تغيب المفاجآت والحسابات المغلوطة في السياق الاقليمي ـ ولا عجب ان يزداد، إلى حد كبير، ادراك م.ت.ف. لدورها في هذا السياق. ففي الثامن من تموز (يوليو)، وفي حركة مفاجئة، أبلغ السادات إلى السفير السوفياتي في القاهرة، ترحيل ١٧ ألف مستشار سوفياتي من الاراضي المصرية خلال عشرة أيام. هذه الحركة قوّضت الاستراتيجية السوفياتية طويلة الامد في مصر والمنطقة. وليس من قبيل المصادفة ان وصل ياسر عرفات على رأس وفد فلسطيني ممثلاً لعدد من الفصائل (عدا «القيادة العامة») في الموعد الاخير الذي حدده السادات لرحيل المستشارين السوفيات. المؤشر كان واضحاً: لا بد لموسكو من الاعتماد على الفلسطينيين[١٧]. ويبدو ان هذه الحقيقة الجديدة من حقائق النظام الاقليمي تمثّل مزايا لقوة حليفة للاتحاد السوفياتي مثل م.ت.ف. لكن هذه الحقيقة، كانت تنطوي على مشكلات لا يستهان بها بالنسبة إلى الاخيرة، الامر الذي دفعها إلى البحث عن موقف «مرن» يجنبها ان «تحشر» بين ارتباطاتها بالحليف السوفياتي، وبين مشاركتها في الصراع الدائر في المنطقة. ولا شك في ان هذه «المرونة» في السياسة، كانت تتلاءم مع تطلعاتها الخاصة، ولكنها تخدم، في الوقت عينه، السياسات السوفياتية في المنطقة.

في هذا الاطار، عقد الوفد الفلسطيني مباحثات مع العضو المرشح للمكتب السياسي للحزب